

بواعث الشعر عند ابن شرف القيرواني وأثرها في توجيه نصّه الشعريّ بنية ودلالة

**المدرس الدكتور
عبد الرضا علي مشعب الكناني
جامعة الكوفة - كلية الفقه**



بواعث الشعر عند ابن شرف القيرواني وأثرها في توجيه نصّه الشعريّ بنيةً ودلالةً

Poems of poetry at the son of Sharaf Kairouani And its impact in
guiding the poetic text structure and significance

المدرس الدكتور
عبد الرضا علي مشعب الكناني
جامعة الكوفة - كلية الفقه

M.D. AbdulRedha Ali Mishab Kanani
College of Fiqh / University of Kufa

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث الموسوم بـ "بواعث الشعر عند ابن شرف القيرواني وأثرها في توجيه نصّه الشعريّ بنيةً ودلالةً" إلى كشف أثر البواعث في التجربة الشعرية بنيةً ودلالةً، وإنّ الشعر الإبداعي ما هو إلاّ استجابة فنية لتلك البواعث. وبعد البحث والدراسة والتحليل، تجلّى لنا أنّ شعر الشاعر المذكور قد جاء استجابةً لمجموعة من البواعث والمؤثرات الموضوعية، التي اتفقت وطبيعة تكوينه، واطراد عاداته، ومحصول ثقافته، ولعلّ أبرز تلك البواعث وأجلاها خطراً في تجربة الشاعر ابن شرف هي: الوطن والحنين الطاعي إليه، ومن ثمّ الإنسان بنوعيه، والخمرة.

الكلمات المفتاحية: بواعث، الشعر، ابن شرف القيرواني، أثر، البنية، الدلالة. المقدمة:

طالما تساءلتُ - عزيزي القارئ الكريم، وأنا في خضمّ القراءة في تجارب الشعر العربي القديم: هل الشعرُ - بمفهومه الإبداعي - ضرورة فنية ملحة، واستجابة إبداعية لباعث أو مجموعة من البواعث، التي لها الأثر في نفس الشاعر وفي نصّه الشعريّ بنيةً ودلالةً؟ ربّما سنلقي الإجابة معاً عن هذا السؤال، الذي يعدّ مشكلة البحث وفرضيته، في دراستنا هذه - التي تحدت عينتها بشعر الشاعر ابن شرف القيرواني

بواعث الشعر عند ابن شرف القيرواني وأثرها في توجيه نصه الشعري

(ت ٤٦٠هـ) - التي توزعت بحسب مقتضيات المشكلة البحثية وأهدافها، على مدخل وثلاثة مباحث وخاتمة، إذ عُرض في المدخل ما تقيض لنا من سيرة الشاعر، ومن ثمّ الإلمام بماهيّة البواعث وأهميتها وأثرها في التجربة الشعرية، في ضوء النقد العربية القديم والحديث.

أما المباحث الثلاثة فقد ضمّت أبرز البواعث وأكثرها تأثيراً في تجربة ابن شرف وفي نصّه الشعري، وهي بحسب درجة التأثير والفاعلية: الوطن، والإنسان، والخمرة. وانتهى البحث إلى خاتمة أجملَ فيها ما توصّل إليه البحث من نتائج علمية، ومن الله العون والتوفيق والسداد.

مدخل:

١ - الشاعر:

هو الأديب والكتّاب والشاعر أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد بن شرف الجذامي القيرواني^(١). وقد أُضيفت له نسبة الجذامي، كما يذكر ابنُ بشكّو، فيما ترجم له في كتابه (الصلة) نسبةً إلى "جذام" وهي إحدى قبائل اليمن التي شاركت في فتح المغرب، وهو بهذا يمني الأصل والجذور، أو يمني الولاء، وقد أضاف "الدباغ" صاحب "معالم الإيमान" "الأجدابي" نسبةً إلى "أجدابية"^(٢).

وقد وُلِدَ المترجم له "في مدينة القيروان، سنة تسعين وثلاثمائة للهجرة، في إحدى البيوتات

الشريفة القادمة مع جيوش الفتح العربي، والقيروان في أوج عظمتها وقمة ازدهارها، رافلة بالعلوم، وحافلة بالفنون، زاخرة بالعديد من العلماء والأدباء المبرزين"^(٣).

وتلقّى ابنُ شرف العلم والأدب على أيدي أكابر العلماء، فقد روى الحديث عن أبي الحسن القابسي (ت ٤٠٣هـ)، وأبي عمران الفاسي (ت ٤٣٠هـ)، وقرأ النحو عن أبي عبد الله محمد بن جعفر القزاز، وأخذ العلوم الأدبية عن أبي إسحاق إبراهيم الحصري، وهؤلاء العلماء الأربعة يمثلون الاتجاهات العلمية الكبرى، التي لا بدّ لطالب العلم من التوجّه إليها، وهي: رواية الحديث، ودرس النحو، وعلوم الأدب إلى جانب غيرها مما هو متصل بها، وفي هذه المنابع الثقافية، وفي مجالس هؤلاء الشيوخ، نمت شخصية ابن شرف العلمية، وتكوّنت ذائقة الأدبية^(٤).

وقد شاع ذكره في وطنه ومسقط رأسه (القيروان)، وكانت له مكانة مبرزّة في بلاط المعزّ بن باديس، الذي استقل بالحكم سنة ٤١٧هـ، وفي هذا البلاط التقى ابن شرف بابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣هـ)، فكانت بينهما منافسة حادة، إلّا أنّها لم تصل حدّ التقاطع أو التعادي، بل كانت بينهما صحبة ووصال^(٥).

ويعدّ ابن شرف أبرز شعراء القيروان في القرن الخامس الهجري، وقد شهد بشاعريته القاصي

بواعث الشعر عند ابن شرف القيرواني وأثرها في توجيه نصه الشعري

ولقد أدرك النقد العربي القديم بفطنته أهمية الباعث الشعري، وضرورته في تفجّر الشعر وانبثاقه من مكنه، ولعلّ ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) هو من أوائل النقاد العرب الذين أشاروا وبوضوح إلى هذا الموضوع قائلاً: "وللشعر دواعٍ تحت البطيء وتبعث المتكلف منها الطمع، ومنها الشوق، ومنها الشراب، ومنها الطرب ومنها الغضب"^(٨).

ويضيف ابن قتيبة إلى تلك البواعث الذاتية بواعث طبيعية جغرافية، مُحفّزة للشعر، بقوله: "إنّه لم يستدع شارد الشعر بمثل الماء الجاري والشرف العالي والمكان الخضر الخالي"^(٩).

وفي كتاب (العمدة)، يربط ابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣هـ) بين تكوين الشاعر ونوع الباعث، ما يدعو إلى التنوّع في طرق الاستدعاء، إذ "إنّ للناس ضروباً مختلفة يستدعون بها الشعر، فتشذ القرائح وتتّب الخواطر، وتلين عريكة الكلام، وتسهّل المعنى، كلّ امرئ على تركيب طبعه، وطرّاد عادته"^(١٠)، فما طُبّع عليه الشاعر وجُبّل، يكن شعره، وتحدد بواعثه، وعلى هذا جرت سُنّة الشعر العربي القديم.

ويذهب أحدُ الباحثين المعاصرين إلى جعل وعي الشاعر بمهمته وإدراك دوره في الحياة، الباعث الأساس في إنتاج العمل الإبداعي، إذ يقول: "وأما الباعث الأساس للنظم فله صلة بوعي الشاعر بمهمته وإدراكه الدور الذي يلعبه في

والداني، ولعلّ شهادة رفيقه الناقد والشاعر ابن رشيق القيرواني، أهم تلك الشهادات، وأنجعها بياناً وكشفاً لتلك التجربة، إذ قال فيه، وهو يترجم له في كتابه (الإنموذج)، ضمن من ترجم لهم من شعراء القيروان: "وهو شاعر حاذق، متصرف، كثير المعاني والتوليد، جيد المقطعات والتقصيد، لا ينكر أحد حذقه، ويدفع سبقه، أشهر أهل زمانه، من شقّ غباره، وأحذقهم من اقتفى أثره"^(١١).

وفي سنة ٤٤٧هـ، تعرّضت القيروان لهجمة شرسة من البدو الأعراب القادمين من صعيد مصر، وهم كلّ من بني (هلال)، وبني سليم، وبني (رياح)، الذين استولوا على تلك البلاد، واستباحوها، ونشروا فيها الذعر والرعب والدمار وشردوا أهلها، وهاجر إثر ذلك ابنُ شرف واسرته إلى الأندلس، وتقلّ بين أمصارها، وتردد على بلاطات ملوك الطوائف، وقد استقرّ في طليطلة، عند المأمون بن ذي النون (ت ٤٦٧هـ)، وغادرها بعد ذلك متوجّهاً إلى أشبيلية، واتصل بأمرها المعتضد بن عباد (ت ٤٦١هـ)، وتوفي فيها. في محرم سنة (٤٦٠هـ)^(١٢).

٢- بواعث الشعر:

لا يتحقق العمل الأدبي، ولا يُنتج إلّا بتوافر باعث أو مجموعة من البواعث الذاتية أو الموضوعية، التي تعمل على إشعال القريحة الشعرية وإدامة وهجها.

بواعث الشعر عند ابن شرف القيرواني وأثرها في توجيه نصّه الشعري

في تعميق الإحساس بالانتماء، والارتباط، للذين يحققان الوجودَ والهوية، فالمكان فضلاً عن بعده الطوبوغرافي المميز، ينبغي النظر إليه "على أنّه تكوينات أو بُنى أو حالات معرفية، ووجدانية، تكون موجودة لدى الأفراد والجماعات، وتُسهم على نحو واضح في تحقيق إحساسهم بالهوية الفردية والجماعية، وفي استمرارية وجود هذا الإحساس لديهم"^(١٥). وبذلك اكتسب المكان هنا البُعد الأنطولوجي الدلالي الثقافي، الناتج عن وعي الذات وارتباطها الحميم بهذا المكوّن.

وللمكان ووعيه أثره الواضح في الشعر العربي القديم، إذ طالما اثار هذا المكوّن قرائح الشعراء، وحرك فيهم لواعج الشوق والحنين، والبكاء، بصوره المختلفة: كالوقوف على الأطلال وذكر الرسوم، وذكر الديار، وسؤالها، أو بكائها، التي جعلها الشعراء القدامى مطالع قصائدهم؛ لأهميتها وأثرها في نفوسهم، لتُمثّل بحسب رأي أحد الباحثين "الحاملة الأساسية لبذور مفهوم الوطن في الشعر العربي"^(١٦).

ويتطوّر مفهوم الوطن ويتسع، بتطور الوعي واتساعه واستقرار العرب في المدن والحوضر - إذ ازداد العربي إحساساً بالانتماء لوطنه - الأرض التي وُلد عليها، وتنفس هواءها، وارتوى من مائها، ونشأ وترعرع في ربوعها، فغدت له الوجودَ والهوية.

حياة الجماعة"^(١١).

ومهما يكن الباعث الذي يُغري الموهبة، ويستثير القريحة، ينبغي أن يصدر عن انفعال صادق وعميق، ف"الشعر وليدُ الانفعال في نفس الشاعر، وبقدر عمق الانفعال، وصدق التعبير عنه تختلف أقوال الشعراء"^(١٢)، وتتباين درجة إبداعهم.

بواعث الشعر عند ابن شرف القيرواني: لقد أثارت موهبة شاعرنا ابن شرف، وأجبت قريحته الشعرية، مجموعة من البواعث لعلّ أبرزها: (الوطن، الإنسان، الخمرة)، التي سيحاول البحث هنا رصدها، وبيان أثرها في توجيه نصّه الشعري بنيةً ودلالةً.

١ - الوطن:

إذا كان مفهوم الوطن محدداً بـ"المكان الذي وُلِدَ فيه الإنسان"^(١٣)، فما المكان؟ لقد حدّد كلٌّ من ستوكولز Stokles، وشوماخر Schmacher، المكان بوصفه "السياق الجغرافي والمعماري للسلوك، فهو... يشير إلى حيز ما يُحيط بالإنسان ويطلق عليه هذا الإنسان اسماً وهذا المكان لا بدّ أن يتصف بصفات محددة ومحسوسة، على الرغم من أنّه أصلٌ تجريدي، أو فكرة عقلية مجردة"^(١٤)، وفي هذا القول ما يُؤكّد الوظيفة الجغرافية والطبيعية للمكان، وأثرها في تحديد السلوك، إلّا أنّ لهذا المكون - أي المكان - وظيفة أخرى، وظيفة رمزية، تُسهم

بواعث الشعر عند ابن شرف القيرواني وأثرها في توجيه نصه الشعري

الشديد، وإحساسه العميق بالانتماء.
وقد ظلّ ذلك الحدث المريع - سقوط مدينة
القيروان واحتلالها من قبل الأعراب - مقيماً في
ذاكرة الشاعر ابن شرف لا يغادره، مُلَوّناً صورة
تلك المدينة المستباحة/ وطنه/ وفردوسه المفقود،
بتفاصيله الموحشة السود، فلنسمع إلى قوله في
نصّ بلغ تسعة عشر بيتاً، يحكي لنا فيه الغياب،
والاغتراب والحنين، واللوعة، وسنورده كاملاً،
لرؤية تلك التفاصيل عن كثب:

كواسدُ قد أزرّت بهنّ الضرائرُ
عواطلَ لا تفشي لهنّ السرائرُ
بها وحشةٌ منها القلوبُ نوافرُ
تغطّت فسدتْ جانبيها الدياجرُ
ولا كانسُ إلا الرياحُ الغدائرُ
تجوّدُ مراراً بالكلامِ المقابرُ؟
سوى قولها أين الخليطُ المعاشرُ
فأين اللواتي ليْلُهُنّ المعاجرُ؟
ألا منزلٌ فيه أنيسٌ مجاورُ؟
فجَلّت عن الغُفرانِ واللهُ غافرُ
ألمْ تكُ قدماً في البلادِ الكبائرُ؟
سوى سائرٍ أو قاطنٍ وهو سائرُ
أُقيمت ستورٌ دونهم وستائرُ
لأقدامها سِتراً تبدّت غدائرُ

ويُظهر عينةُ البحث تعلّق ابن شرف المزمّن
بوطنه الأثير (القيروان)، مسقط رأسه، ومرتع
الصبا، والشباب، تلك المدينة التي اتسمت
بالألفة والجمال، وقد غادرها شاعرنا مرغماً إلى
الأندلس، بعدما دخلها البدو الأعراب، وقد عاثوا
فيها فساداً وتخريباً، كما مرّ بنا، فظلّ يحملها
جرحاً نازفاً بين جنبيه، وجمرةً مشتعلةً، لا تفتأ
تستثير قريحته كلّ حين، كاشفة عن وعيه

كانّ الديارَ الخالياتِ عرائسُ
وتُكسرُ بُقياها الأسيّرة حُسراً
إذا أقبلَ الليلُ البهيمُ تمكّنت
ولا سُرحُ ألاّ النجومُ وربّما
يمرُّ عليها المورُ يسحبُ لحفّة
ويمتدُّ عمرُ الصوتِ فيها وربّما
فلو نطقَت ما كانَ أكثرَ نُطقِها
ألا قمرٌ إلا المُقتنَعُ في الدجى
ألا منزلٌ فيه أنيسٌ مخالطُ
تُرى سيئات القيروانِ تعاظمت
تُراها أصيبت بالكبائرِ وحدّها
ترحلّ عنها قاطنوها فلا ترى
تكشفتِ الأساتُرُ عنهم وربّما
إذا جاذبت استارها تبتغي بها

بواعث الشعر عند ابن شرف القيرواني وأثرها في توجيه نصه الشعري

تبيتُ على فُرشِ الحصى وغطاؤها دوارسُ أسـمـالِ زوارٍ حقـائـرُ
فيا ليتَ شعري القرونِ مواطني أعائـدةٌ فيها الليالي القصائـرُ؟
ويا روحتي بالقيروانِ وبكرتي أراجـعةٌ رُوحاتُها والبـواكـرُ؟
كأن لم تكن أيامنا فيك طـلـقةً

سيمضي به عصرٌ ويمضي المعاصرُ^(١٧)

الوحشة والظلام المطبقين: (يمرُّ عليها المورُ*)
يسحبُ لُحْفَهُ/ ولا كانسُ إلا الرياحُ الغدائرُ*)،
ومستعيرا مُشَخَّصا القبور: (وربّما/ تجودُ مراراً
بالكلام المقابر)، هذه الصورة الاستعارية
التشخيصية الأخيرة قد فجرت بعد ذلك سلسلةً
عنقوديةً من التساؤلات الآسفة: [أين الخليطُ
المُعشّارُ؟ ألا قمرٌ إلا المُقنّع في الدجى؟ / فأينَ
اللواتي ليلهنَّ المعاجرُ؟/ ألا منزلٌ فيه أنيسٌ
مخالطٌ؟/ ألا منزلٌ فيه أنيسٌ مجاورٌ؟]،
والتساؤلات التعجيبية المستنكرة: [ثرى سيئات
القيروان تعاضمت؟/ تراها أُصيّبت بالكبائرِ
وحدها؟/ ألم تكُ قديماً في البلاد الكبائرُ؟]. لينتقل
بعد ذلك إلى المشهد الآخر من الذاكرة الجمعية
وهو مشهد (الرحيل والجلاء) - الذي يبدأ من
البيت الثاني عشر وينتهي عند البيت الخامس
عشر - معتمدا فيه الشاعرُ الأسلوبَ السردِيَّ
الخبريَّ التفصيليَّ الدقيق، الخالي من المجاز
تقريباً، والتساؤل، يعرض لنا فيه صوراً مأساويةً
واقعية حية، لشعبه وهو يعاني الذلّ والهوان
والخوف، بعد فراره من الوطن والتوجّه صوبَ

إذ يُظهر النصّ السابق فعل المكان - ممثلاً
بالقيروان وطن الشاعر - بوصفه البؤرة الموجّهة
للبنية والدلالة، فالمكان / الوطن، يغوص في
ذاكرة الشاعر، والشاعر يغوص في ذاكرة المكان
التي انشطرت إلى ذاكرتين: تمثلت الأولى
بالذاكرة الجمعية التكلّية لمدينة القيروان بعد
سقوطها بيد القبائل، وقد تمكّن منها الغيابُ،
ولفّها الصمتُ، وافترستها الوحشةُ، وعاقرها
الرحيلُ. ولقد انطوت هذه الذاكرة المنكوبة على
مشهدين: أما الأول فهو ما يمكن أن نُطلق عليه
بمشهد (الوقوف على الديار)، أي وقوف الشاعر
ابن شرف تخيلاً على أطلال مدينته المستباحة،
بعد أن رحل عنها الأهل والأحباب، وهو ما
يذكرنا بوقوف الشاعر الجاهلي على الأطلال،
وقد اعتمد الشاعر في هذا المشهد - الذي امتدَّ
من المطلع حتى البيت الحادي عشر، على تقنية
الوصف السردِي، المعزّز بالأداء البياني
المشخّص، كما في قوله مشبّهاً: (كأنّ الديارَ
الخالياتِ عرائسُ/ كواسدُ...)، ومستعيراً: (وتتكرُّ
بقاياها الأسرّةُ حُسراً/ عواطل)، ومُكنياً عن

بواعث الشعر عند ابن شرف القيرواني وأثرها في توجيه نصّه الشعري

وفي البيت الخامس عشر حتى نهاية النصّ ، يتحول الشاعر إلى ذاكرته الفردية الشخصية في موطنه القيروان، مستذكرا ما ضاع وانقضى من أيامه السعيدة ولياليه الهائلة في ربوعها قبل الغزو، مُمنّيًا النفس بسرّاب العودة، إذ يقول:

المجهول! والملاحظ في هذا المشهد كثافة الأفعال: (ترحل، تكشف، أُقيمت، جاذبت، تبتغي، تبدّت، تبيّت)، التي فضلا عن تأكيدها دلالة الانكشاف والغربة، فإنّها قد مسرحة الحدث، ولوّنت المشهد بالفعل والحركة.

أعائدة فيها الليالي القصائر؟

فاتصال العربي بأرضه اتصال ذاتي وكيثوني، لا مكاني فحسب، وغياب أرضه وافقاده يعني افتقاده ذاته، واستلاب كينونته، وهذا ما نراه جليًا عند شاعرنا ابن شرف في نصّه السابق، وفي نصوصه الوطنية الأخرى، التي ترجمت لنا مشاعر حبه الصادق لأرضه، وحنينه الطاعي أبدأً إليها، بوصفها الذات الغائبة والكينونة، ما اضطره للنداء - الذي يُشكّل ظاهرة اسلوبية طاغية في قصائد الشاعر الوطنية - المتواصل، ومزيدًا من النداء لوطنه، أملًا منه في الوصل، وتحقيق اللقاء، كما في قوله في نصّ آخر:

فيا ليت شعري القرون مواطني

والملاحظ في هذا المقطع من القصيدة، طغيان الحنين للوطن الذي يؤكّد الانتماء والارتباط، فالحنين إلى الوطن كما يذهب يحيى الجبوري "انتماء وولاء وحب" (١٨)، كما ويؤكد ذلك الحنين وطغيانه، إحساس الشاعر بالفقد، وشعوره بالغربة، فحبّ العربي لأرضه غريزة، وطبع، وليس اكتسابًا، إذ جُبِلَ العربي على حبّ أرضه كما يقول: عبد اللطيف عيسى، وذلك منذ أن "وُجِدَ عليها، فتغنّى بجمالها وطبيعتها الجميلة، وملاعب شبابها ومواطن ذكرياته، (...) إلا أن هذا الحبّ والإعجاب يتحولان إلى بكاء ونواح في حالة الفقد" (١٩).

فأراك رؤية باحثٍ متأمل (٢٠)

بمعاد يوم فيك لي ومن أين لي؟ (٢١)

الوصل، يتحوّل الشاعر إلى الندب، متأوها،

يا قيروان وددت أني طائرٌ

وقوله:

يا أربعي في القطب منها كيف لي

وحينما لا يُجدي النداء نفعًا، وينقطع الرجاء في

بواعث الشعر عند ابن شرف القيرواني وأثرها في توجيه نصه الشعري

الذاكرة المكانية بين زمنين، كما في قوله ناشجا:

مُصْعِدًا من أنة شجوه المنبعثة من قلبه المحترق
حزنًا، وألمًا على بلاده السلبية مع بقاء انشطار

عن فؤادٍ بجاحمِ الحزنِ يصلى
بل أقولُ الديارُ منهنَّ أخلى
طو على أفقها نواعسَ كسلى
ومتانِ الذُّبَالِ تُفَقِّلُ فَتَلًا
وتفضُّلهنَّ معنىً وشكلاً^(٢٢)

آه للقيروانِ أنة شجوى
حينَ عادت به الديارُ قبوراً
ثم لا شمعاً سوى أنجمٍ تخطـ
بعد زهرِ الشَّماعِ تَوَقَّدُ وَقْدًا
والوجوهِ الحسانِ أشرفُ منهنَّ

المشهدين أظهر الشاعر تضادا زمنيا وداليا بين ذاكرتين للوطن، حاضرٍ مظلم، وماضٍ مضى، تشدُّهما بنيةٌ إيقاعيةٌ بطيئةٌ؛ لشيوع صوت المدِّ الألف، الذي يتميز بطوله الزمني، فهو أطول أصوات المدِّ واللين زمنا، وأوضحها في السمع، وأسهلها في النطق^(*).

وقد تردد صوت المدِّ الألف (٢٠) مرة في الأبيات الخمسة الماضية، رأسيا في القافية، وأفقيا في الحشو، كما هو في الشكل التخطيطي الآتي:

إذ تكشف القراءة الأولى أن النصَّ الشعري المتقدم، يجمع بين حاضر القيروان وماضيها، وهذا يعني أنَّ الشاعر هنا يقف بين زمنين، يُلقى نظرة إلى حياة القيروان بعد الغزو، وقبله، ممَّا يولّد بالضرورة لغة التصاد، وتُظهر القراءة الثانية أنَّ الحركة الزمنية للنصِّ كانت حركة ارتدادية، فهي تبدأ من الحاضر إلى الماضي، ويتحدّد محور الحاضر بالمفردات الآتية: (آه، أنة، شجوى، الحزن، يصلى، قبور، أخلى، الشمع "غائبا"، النجم "خابيا"). أمَّا المحور الماضي فقد ضمَّ: (الشمع "مُتَوَقِّدا"، الذُّبَالِ "متينا مُفْتَلًا"، الوجوه "مشرقة حسان")، وبذلك المحورين أو

بواعث الشعر عند ابن شرف القيرواني وأثرها في توجيه نصه الشعري

	- ١
	- ٢
	- ٣
	- ٤
	- ٥

انخفاض نسبة صوت الألف، عمّا كان عليه في الأبيات الثلاثة المتقدمة؛ وذلك لأنّ الشاعر هنا قد دخلَ ماضي بلاده الجميل المزهَر المُضاء بأهله وأحبته، وتردد الألف في هذين البيتين يوحي بذبذبات تذكر واسترخاء.

وربّما سعى الشاعر إلى البحث عن وطن بديل، بعد أن تعذّرت العودة، وانعدم الأمل، (فلا وطنٌ لنا)^(٢٣) كما يصرّح، فكانت (قُرطبة) التي قبضَ عليها بعد طول سفر، وبحث ممض عن مأوى:

إذ يُظهر التخطيط الصوتي في أعلاه، أنّ الأبيات الثلاثة الأولى من النصّ قد اشتملت على الكمية الكبرى من تكرار صوت الألف؛ وذلك لأنّ هذه الأبيات تمثل مشهداً لموطن القيروان في حاضرها القاتم بعدما استبيحت وغدت قبوراً موحشة، فكثافة الألف في هذا الفصل من النصّ يُجسّدُ آهات الشاعر الصاعدة ببطء من قلبه الجريح المتأوّه على مدينته المستباحة، أما في البيتين (٤-٥)، نلاحظ

وقُرطبة ضُمَّت إليها جوانحي كما ضمّ من عفرَاء غُروة تعنيق^(٢٤)

لتكوّن الوطنَ البديل الذي يُعيد إليه قيروانه الضائعة، وذاته المفقودة:

وقرطبة أعيدت قيرواناً لنا لما دهمت تلك الفتون^(٢٥)

في تلك التجربة، وهو (الإنسان)، بنماذجه الأنثوية والذكورية التي لفتت انتباه شاعرنا، واثارت قريحته الشعرية. إذ لم تغب الأنثى عن عالم الشاعر، بل كان لها الحضور المميز،

٢- الإنسان:

ومثلما كان للوطن فاعليته وأثره الواضح في نفس ابن شرف، ونصّه الشعري بنيةً ودلالةً، يتجلّى لنا باعث آخر، كان له أثره الذي لا يغفل

بواعث الشعر عند ابن شرف القيرواني وأثرها في توجيه نصه الشعري

وقد حظي الجانب الحسيّ الجسديّ من المرأة، باهتمام الشعراء العرب في المشرق، والمغرب والأندلس، كما أثار المكوّن الحسيّ الأنثوي، شهوة شاعرنا ابن شرف وشاعريته، فراح يتغنّى بجمال مفاتنه الساحرة، وفي مقدمة تلك المفاتن (الخدود)، التي بدت مُوردة تحكي جرح قلبه النازف تولّها وعشقا، كما في قوله:

فلاحت خدودك كلهنّ موردة^(٢٨)

وتتشترك العيون بلحاظها الساحرة الجارحة مع الخدود، في اشتباك غير متكافئ مع الشاعر:

ولحظنا يجرحكم في الخدود^(٢٩)

كشفت عن ساقها، فبان زغب تلك الساقين، وهي تهمّ بالدخول في صرح النبيّ سليمان (ع)، الممرّد:

يسير مثل ما يهبّ الشحيح

خفيف مثل جسم فيه روح

به زغب فم عشوق مليح

فمن حدق العيون لها صروح^(٣٠)

تلك اللوحة الجسدية الساقية الزغبية، من أثر دلالي يوحى بالامتلاء والخصوبة. فالجسد اللذيّ الأنثوي هو المتحكم في بنية النصّ السابق والموجّه لدلالاته المنطوية على رغبة جنسية

والفاعل في تجربته. والنزوع إلى المرأة يمثل نسقا ثقافيا سائدا في الشعر العربي، والأنموذج الأكثر رواجاً في عصوره المختلفة، فهي جزء لا يتجزأ من الأديب بوصفه إنساناً مُبدعا^(٢٦)، ولعلّ المرأة من وجهة نظر نفسية - لغوية، قد طوّرت القدرة المجازية للغة العربية، لاتصالها بالحياة الجنسية^(٢٧).

بكيّت دماً والقاصرات سوافر

الحاظكم تجرحنا في الحشا

ويُظهر الشاعر افتتانه الشبقيّ بزغب ساق امرأة جميلة ممثلة، مستدعياً نصياً ودلالياً، قصة بلقيس ملكة سبأ الواردة في القرآن الكريم، حين

ويُلقيسِيه زِيَّات بشعر

رقيق في خدلجة رداح

حكي زغب الخدود وكلّ خد

فإن يك صرح بلقيس زجاجاً

مع ملاحظة بقاء عنصر (الخدود) بوصفه المثال الجمالي الأعلى - عند شاعرنا- الذي تنعكس على صفحته كلّ مفاتن الوجه الأنثوي، غير ناسين ما لصفتي (خدلجة، ورداح)^(*) في

بواعث الشعر عند ابن شرف القيرواني وأثرها في توجيه نصه الشعري

صريحة.

الجسد الأنثوي:

ويقول الشاعر في نصٍّ آخر محتشد بمفاتن

وعلى عُصْنِكَ بَدْرُ	بَيْنَ أَجْفَانِكَ سَحَرُ
بَيْنَ لُذَا أَمْرِكَ أَمْرُ	جَرَدَتْ عَيْنَاكَ سَيْفِيْـ
دَمَ الْعَشَّاقِ أَثَرُ	فَعَلَى خَدِّكَ مِنْ تَرْفِ
لَكَ وَالْأَغْصَانِ شَطْرُ	وَمِنْ الْكَثْبَانِ شَطْرُ
مَا أَرَى أَوْ قَلَّتْ: ثَغْرُ	وَسَوَاءٌ قَلَّتْ: دُرُ
رَ وَمَا إِنَّ لَكَ خَصْرُ	وَبِمَاذَا أَصِفُ الْخَصْرُ
ومضى زيْدٌ وعمرو ^(٣١)	بِكَ شَغْلِيْ وَاشْتَغَالِيْ

ذلك، وفوقه، فلغز الحياة الجنسية كما يقول بول ريكور^(*): "يكن في أنه لا يمكن اختزالها إلى الثلاثي المكوّن للإنسان: اللغة، والأداة، والمؤسسة. وفعلاً، فهي تنتمي، من جهة أولى، إلى وجود إنساني سابق على اللغة، وحتى عندما تصير تعبيرية فإنّها تكون تعبيراً دون اللغة أو فوقها أو إلى جانبها، إنّها تجنّد اللغة حقاً، إلا أنّها تخترقها،... تزيل عنها طابعها التوسطي، إنّها "الأيروس" لا "اللوغوس" بل إنّ أرجاعها إلى "اللوغوس" يظلّ مستحيلاً استحالة جذرية"^(٣٢).

ومتلما أثارت المرأة اللذية - إذا صحّ التعبير - لذة شاعرنا ابن شرف، فقد أثّر أيضاً وأعجب بما يمكن أن نصطلح عليه بـ(المرأة التعبيرية)، وهي المرأة التي تحاول التعبير عن مواهبها، بالصوت

فالشاعر كما نرى هنا حريص وبدقة على التمسك بمعايير الصورة النمطية العربية الموروثة لجسد المرأة، وبمفاتها اللذية الفوقية والتحتية، من عيين ساحرتين، ووجه كالبدن، وثغر يكشف عن أسنان كالدرّ، وخصر ممشوق كالغصن، وردفين كالكتبان، وكلّ تلك الأجزاء التي تكرر تداولها في نتاج الشعر العربي الغزلي القديم، ولكن لماذا كلّ هذا الإلحاح على جسد المرأة في شعرنا العربي، ولأسيما عند شاعرنا موضوع البحث؟ وما الباعث وراء ذلك الإلحاح؟ هل هو غريزة الاتباع والتقليد المتغلغلين في بنية العقل العربي وخياله ووجدانه؛ طلباً للمثال والانصهار في ذات الجماعة؟ أم هو الهرب إلى عالم اللذة والحلم تعويضاً عن واقع قاسٍ محبط؟ إنّ كلّ

بواعث الشعر عند ابن شرف القيرواني وأثرها في توجيه نصه الشعري

أو العزف على آلة معينة، أو كليهما معا، كما في قوله:

سقى الله أرضاً أنبتت عودك الذي زكت منه أغصانُ وطابت مغارسُ
تغنى عليه الطيرُ والعودُ أخضرٌ وغنى عليه الغيدُ والعودُ يابسُ^(٣٣)

فعذوبة صوت تلك المغنية الغيداء، وعزفها الجميل الساحر، على آلة العود، قد فجّرنا نبع الحياة في أعماق الشاعر، وبعثنا فيه إحساساً عميقاً بالجمال، الذي حاول أن يسقطه على تلك الآلة، بوصفها معادلاً موضوعياً لذاته. ولا يخلو ديوان الشاعر من صور المرأة الآسية،

وتُكالي أراملاً حاملاتٍ وحصانٍ كأنّها الشمسُ حسنا
طفلةٌ حسرةً وشجواً وثُكلاً
فات كرسيتها الجلاء فأضحت
كفنتها الأظمارُ نجلاءً كحلاً
في ثيابِ الجلاء للناسِ تُجلى^(٣٤)

والملاحظ أنّ هذه الصورة العاطفية القائمة للمرأة لم ترد إلا في سياق الحنين للوطن، واستنكار مصائب الغزو، الذي استباح البلاد وشرّد العباد. ومثلما أثارت المرأة بصورها المختلفة كُنه الشاعر، وفجّرت فيه القريحة الشعرية، كذلك كان للرجال نصيب، ولاسيما الأمراء والقادة، وأصحاب النفوذ والسلطة من الطبقة السياسية الحاكمة في بلاده أو في بلاد الغربية، ممن سعى

لمدحهم وتبجيلهم في سياق الرؤية العربية الإسلامية النسقية، المكرّسة لصورة الرجل الأخلاقي، البطولي، الفذّ، الرجل (المثال)، الذي يتسم بالعقل والعدل، والعفة، والشجاعة، والشرف، والبذل، والدين، كما في قوله مادحا المعزّ بن باديس، أمير الدولة الصنهاجية، وحاكم مدينة القيروان، الذي حظي عند الشاعر بمكانة عظيمة:

بواعث الشعر عند ابن شرف القيرواني وأثرها في توجيه نصه الشعري

هو الشرف الذي نسب المعالي اليه وهو ذو الشرف القديم
شهاب الحرب يهلك كل باغ ومُحرق كل شيطانٍ رجيم^(٣٥)

وقوله في مدح علي بن أبي أرجال، رئيس ديوان الإنشاء، في دولة الصنهاجيين:

سَلْ عنه وانطق به وانظر اليه تجد ملء المسامع والأفواه والمُقل
لا قاصداً أمّة الا وأبدله يُسرّاً من العسر أو أمناً من الوجل^(٣٦)

وكذلك مدحه أمير مرسية، أبا عبد الرحمن بن طاهر:

فتى طاهري طاهر الثوب ذكره من المسك اذكى أو من الماء أظهر^(٣٧)

ومدحته لابن الأفطس، أمير بطليوس:

ميزك ميزان عقول الوري وفهمك العدل لكل عياز^(٣٨)

الشرف كافة، وفي ذلك ما فيه من كسب رضاه، وحظوته، ونوال عطائه أولاً، وجذب أنظار الرعاية اليه بوصفه المثال المتعال المتفرد في صفاته آخرًا.

وفي نصوص مدحية أخرى يستدعي الشاعر ابن شرف رموز الخلافة الراشدة وسيرهم، ليمنح الممدوح أعلى درجات الكمال، كما في الأنموذجين المدحيين الآتيين:

لله من يوم أغر سعيد مُتميّز من عصره معدود
كان القضاء إرثاً فرددتُه شوري ففاز بحقه المردود
يا فضلها من سيرة غمريّة هي للعباد رضى وللمعبود^(٣٩)

(ب) -

مرّ بي غصنّ عليه قمر مُتجلّ نورُه لا ينجلي
هزّ عطفه فقلنا: إنّه ذو الفقار اهتزّ في كفّ علي

بواعث الشعر عند ابن شرف القيرواني وأثرها في توجيه نصه الشعري

ورأيتُ الناسَ صرعى حوله
تلكَ أخبارُ زمانٍ قد قضى
زمنَ المنصورِ قوى مُنيتي
وسرورِ النفسِ من بعدِ الصبا
فكأننا اليومَ يومَ الجملِ
وأُمورٍ في السنينِ الأولِ
وسرا همّي وأحيا جذلي
ناشِرَ عصرِ الصّبا والغزل^(٤٠)

الممدوح، غير عما يمدح وهو في بلاد الغربية، مجرداً من كلّ تلك المعاني، ففي الوطن لا يكون (الاستدعاء) سوى إطارٍ خارجيٍّ لصورة الممدوح، ينبّه الناس، ويذكرهم بسيرته الرشيدة، وإرادته الحكيمة للبلاد والعباد، لهذا لا يرتبط الاستدعاء بذات الشاعر بقدر ارتباطه بذات الممدوح، ومكانته والعمل الذي قام به، كما هو في الأنموذج الأول (أ) الذي كان المدح فيه موجّهاً لأمير بلاده المعزّ بن باديس، حاكم مدينة القيروان، لتوليته أبا بكر أحمد بن هشام- وفي هذا الأنموذج نشاهد غياباً تاماً لذات الشاعر، وحضور طاعٍ لذات الممدوح، وما قام به من عمل. أما في بلاد الغربية، فإنّ استدعاء السيرة يتحوّل إلى بنية رمزية كاشفة عن نفس الشاعر وما يعانيه من خوف وقلق، ورجاء في الممدوح في تحقيق الأمان، والاستقرار، والسعادة، وكشف الهمّ، وإحياء الفرح، أو كلّ تلك المعاني المشتركة التي افتقدها، بافتقاده الوطن، وابتعاده عنه، كما يطالعنا ذلك في الأنموذج الآخر (ب)، الذي توجّه فيه الشاعر مادحا المنصور حفيد ابن أبي عامر، أمير بلنسية، وهو من أمراء الطوائف في

فالملاحظ أنّ الشاعر في الأنموذج الأول (أ)، قد استدعى رمزا من رموز الخلافة الراشدة، وهو الخليفة عمر بن الخطاب (رض)، مشيراً إشارة عامة إلى سيرته (يا لها من سيرة عمرية)، دون تفصيل في سيرة عمر بن الخطاب، أو التوسع، سوى ذكر لفظة (الشورى) التي تشير إشارة عابرة وخاطفة إلى تلك السيرة، أما في الأنموذج الآخر (ب)، فإننا نلمح شيئاً من التفصيل، في استدعاء سيرة الإمام علي (ع)، وكشفاً مكثفاً لإظهار جانب من جوانب تلك الشخصية البارزة ولاسيما شجاعته، وبأسه في ميدان القتال، عبر ذكر دالته الحربية الشهيرة، سيفه (ذي الفقار)، وهو يهتزّ في كفّه الشريف، مع المرور بحادثة عظيمة من حوادث تلك السيرة، وهي (حادثة الجمل!)، مورداً ذلك كلّ في صورة تنبض بالحركة والحيوية والجمال، ولكن ما الذي يدعو الشاعر إلى التفصيل في سيرة، والاكتفاء بالإشارة العامة لسيرة أخرى؟ في سياق المدح؟؟ والسبب في ذلك -كما يبدو لنا- مرتبط بحال الشاعر وتبدّل مقامه، فحينما يمدح وهو في وطنه آمناً مستقراً محفوظ الجنب، والحظوة من

بواعث الشعر عند ابن شرف القيرواني وأثرها في توجيه نصه الشعري

الأندلس، وممن نزل عليهم ابن شرف بعد سقوط
القيروان مباشرة، إذ جاء الاستدعاء في هذا
الأنموذج مشحونا بالقوة والحيوية، والعنفوان -
التي ينبغي للشاعر الحصول عليها من ممدوحه
في هذا المقام - معزراً بشيء من التفصيل
والحركة والحدث المكثف، كما في قوله:

هَرَّ عَظِيهَ فَقَلْنَا: إِنَّهُ ذُو الْفَقَارِ اهْتَزَّ فِي كَفِّ عَلِي

وتعقَّبُ ذاتِ الشاعرِ وأناه لكلِّ تفاصيل ذلك
الاستدعاء والمدح، واضح في هذا النص، ابتداءً
من مفتتحه الذي قال فيه: (مَرَّ بي غَضُنٌّ...)،
ومرورا بقوله المؤكِّد: (فَقَلْنَا إِنَّه....)، ورؤيته

زَمَنِ الْمَنْصُورِ قَوَى مُنَيَّتِي وَسِرَا هَمِّي وَأَحْيَا جَذَلِي
وسرور النفس من بعد الصَّبَا نَاشِرٌ عَصَرَ الصَّبَا وَالْغَزَلِي

وإنَّ أثار الأنموذج الإنسانيِّ السياسيِّ (الرفيع)
قريحة شاعرنا ابن شرف، وشهوته في التعبير
فقد يثيره الأنموذج الإنساني (الوضيع)

وناصِبٍ نَحْوِ افْوَاهِ الْوَرَى أَذْنَا كَالْقَعْبِ (*) يَلْقُطُ مِنْهُمْ كُلَّ مَا سَقَطَا
تَرَاهُ يَلْتَقِطُ الْأَخْبَارَ مَجْتَهِدًا حَتَّى إِذَا مَا وَعَاهَا زَقَّ مَا لَقَطَا^(٤١)
وربما يستفز شاعرنا إنسانٌ وضع منحط، فيهجوه أفذع الهجاء، دون تسميته، أو تحديد منزلته، كما في
قوله:

مَا فَلَانٌ إِلَّا كَجِفَّةِ كَلْبٍ وَالضَّرُورَاتِ الْجَائِتْنَا إِلَيْهِ^(٤٢)
٣ - الخمرة:
وهي من البواعث الأخرى التي اشعلت قريحة

بواعث الشعر عند ابن شرف القيرواني وأثرها في توجيه نصه الشعري

تقاليد الشعر العربي، ونواة بنى عليها الشعراء في العصور اللاحقة، اشعارهم في هذا الغرض، الذي بلغ به بعضهم حدّ المجون والإباحة، واتخذ بعضهم الآخر إثارة لقريحة أو هرباً من واقع^(٤٣). ومن النصوص الخمرية لابن شرف نطالع قوله:

بالأرض فيها، والسماء تذوبُ
فيها الرقيبُ كأنّهُ مرقوبُ
لوناً وقدرًا معصمٌ مخضوبُ
الدريّ منها عسجدٌ مصبوبُ
شيءٌ سواها شاربٌ مشروبُ
كالشمسِ تطلعُ بيننا وتغيبُ^(٤٤)

وشخصه.

وفي زمن هذا النصّ يستعير الشاعر آلية الزمن الماضي، فللماضي حقيقة الحضور، وبمعنى آخر أنّ ابتداء النصّ يعني أنّ كلّ شيء قد انتهى زمنياً في الواقع، في حين أنّ كلّ شيء قد ابتدأ للتو، واللحظة داخل النصّ.

وكأنّنا مع هذا النصّ المكثف بإزاء حكاية مكثفة تتكون من حدثٍ لذيق هو "شرب الخمر" وزمان ماضٍ متتابع:

(نعمتُ جَمَدَ جَمَعِ أنزوى)،
يضمّها مسرحُ الليلة، وشخصياتٌ لا تتعدى أن

تتركه في الروح والجسد من أثر.

والشعر الخمري من الفنون قديمة العهد في الشعر العربي، إذ أدمن الجاهليون الخمرة، وريماً أسرفوا فيها، فتزدّد ذكرها، وذكر أنواعها وصفاتها وأنيتها في اشعارهم، وبيان مفاعيلها في النفس والجسد، حتى غدت تقليداً متبعاً كالطلل من

ولقد نعمتُ بليلةٍ جَمَدَ الحيا
جَمَعَ العِشاءِينِ المُصَلّي وانزوى
والكأسُ كاسيةُ القميصِ كأنّها
هي وردةٌ في خدّها وبكاسها
مشروبةٌ، للبِّ شاربةٌ وما
منّي اليه ومن يديه إلى يدي

إذ ينطوي النصّ الشعري المتقدّم على بنية مشهدية وصفية، ترسم لنا اطلساً مناخياً نفسياً لتضاريس تجربة عاشها الشاعر في ليلة من لياليه الخمرية الهائلة.

ويتخذ النصّ طابعا حسيّاً بصريّاً، يمكن أن نعدّه أيقونة خمريّة، يلقمها الحسّ صورته، ويمنحها بلاغة مغايرة، فتتهمر العبارات الشعرية من الذاكرة عن طريق التداعي الحرّ. فنحن إذن بصدد رصد مونتاجي مسترجع، لمشاهد وتفصيلات تلك الليلة التي تُحكّك الفضاء الزمني للنصّ، الذي تحركت فيه عناصر المشهد

بواعث الشعر عند ابن شرف القيرواني وأثرها في توجيه نصه الشعري

تكون: (الشاعر / الراوي، والمُصَلِّي / الرقيب،
النديم). ويظهر أن شخصيتي المصلي والرقيب
كانتا عرضيتين، فورودهما كان لرسم شدة البرد
في الخارج. أما الشخصيتان الرئيستان فهما
الشاعر والنديم، المتساقيان للخمرة-بؤرة الحدث-
والموجّه الدلالي لبنية النصّ التي توزعت على

ثلاثة مشاهد أو ثلاث لوحات، هي:
أولاً: لوحة الطبيعة والناس: وهي لوحة لمشهد
خارجي مثل حركة الطبيعة، وتغيّر حالها، وما
يقالها من حركة الناس وتغير حالهم، كما في
قوله:

بالأرض فيها، والسماء تذوبُ
فيها الرقيب كأنه مرقوبُ

ولقد نعمتُ بليلةٍ جمَدَ الحيا
جمع العِشّاءِين المصلي وانزوى

لصورة الكأس الممتلئة خمراً ولونها، وبيان أثر
ذلك الشراب في العقول:

ثانياً: لوحة الكاس والخمرة: وهي اللوحة
المركزية البؤرية التي رسمت لنا مشهداً داخلياً

لوناً وقدرًا معصمٍ مخضوبُ
الدريّ منها عسجدٌ مصبوبُ
شيءٌ سواها شاربٌ مشروبُ

والكأس كاسيةُ القميصِ كأنّها
هي وردةٌ في خدّها وبكاسها
مشروبةٌ، للبّ شاربةٌ وما

وحركيتها بين المتساقيين، فهي كالشمس تطلع
وتغيب:

ثالثاً: لوحة النديمين: وهي امتداد للوحة السابقة
إذ صوّر فيها الشاعر حركة تبادل الكأس
المُترعة خمراً بينه وبين نديمه، وصورة الخمرة،

كالشمس تطلع بيننا وتغيبُ

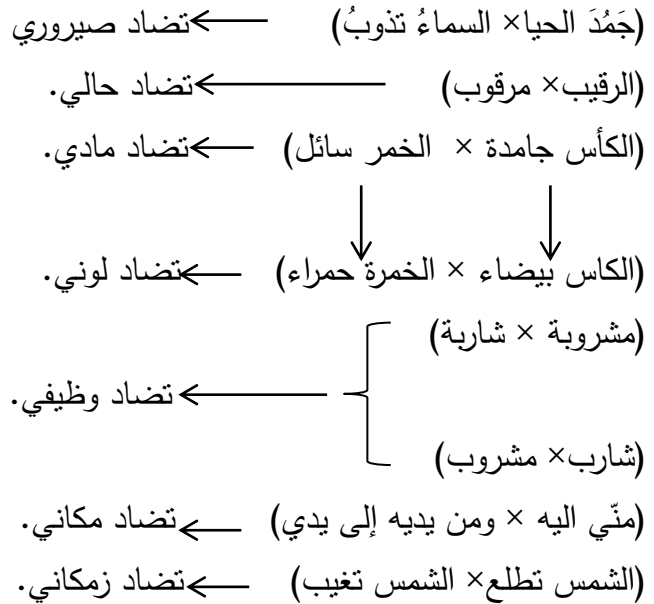
منّي اليه ومن يديه إلى يدي

والخمرة)، (الشاعر والنديم). وقد ترشحت من
هذه الثنائيات المتصالحة ثنائيات متضادة،

والملاحظ أنّ هذه اللوحات الثلاث، قد أُسست
على مقصدية ثنائية: (الطبيعة والناس)، (الكأس

بواعث الشعر عند ابن شرف القيرواني وأثرها في توجيه نصّه الشعري

تمثلت في قوله:



الظلماء الباردة جداً بطقسها، الدافئة المشمسة
بخمرتها، الخالية من الناس إلا منه والآخر،
والكأس.

وعبر علاقة التصالح والتضاد، تتدفق شعريّة
النص الشعري المعبر عن نشوة الشاعر ابن
شرف الروحية والجسدية في تلك الليلة الخمرية

الخاتمة والنتائج:

وبعد هذا العرض المصحوب بالدراسة والتحليل
في شعر ابن شرف القيرواني (ت ٤٦٠ هـ)، تبين
لنا وبوضوح، أن شعر الشاعر المذكور قد جاء
استجابة فنية لمجموعة من البواعث والمؤثرات
التي اتفقت وظروفه، وتكوين طبيعه، واطراد
عادته، ومحصل ثقافته، وكان لها الأثر المثمر
في تجربته، وفي توجيه نصّه الشعري بنيةً
ودلالةً.

ولعل أبرز تلك البواعث وأجلاها أثراً في نتاج
الشاعر، هو الوطن والحنين الطاغي إليه، إذ
كشف البحث عن تعلّق الشاعر الشديد بموطنه،
مُمثلاً بمدينة القيروان مسقط رأسه، ومرتع الصبا
والشباب، وقد غادرها مُكرهاً، بعد أن سقطت
أسيرة، بيد البدو الأعراب، وقد عاثوا فيها فساداً
وتخريباً، فظلّ آتوّن غياها مُشتعلاً بين جنبيه،
لا يفتأ يستثير قريحته بين الفينة والأخرى، كاشفاً
ذلك عن عميق وعيه وشدة انتمائه، وقد تردد

بواعث الشعر عند ابن شرف القيرواني وأثرها في توجيه نصه الشعري

والمأساوية، عن عالم الشاعر، وكذلك كان للرجال حظ وافر، الرفيع منهم والوضيع. ومن البواعث الأخرى التي آنت شاعرنا، وأطلقت نشوته، هي الخمرة، إذ توقّف عندها ذاكراً أنيتها، وصفاتها الخارجية، ومُبيّناً مفاعيلها في اللب والجسد.

إحساسه بين الأمل في العودة، واليأس، وربما سعى إلى البحث في بلاد الغربة -الأندلس، عن وطنٍ بديلٍ، يُعيد إليه قِبروانه الضائعة. ويستثير الإنسان بنوعيه، موهبة شاعرنا ابن شرف، ويستفز قريحته، ويلفت انتباهه، مشكلاً حضوراً فاعلاً في عالمه الشعري، إذ لم تغب المرأة بنماذجها المختلفة: اللذية، والتعبيرية،

بواعث الشعر عند ابن شرف القيرواني وأثرها في توجيه نصه الشعري

هوامش البحث:

- (١١) دواعي الشعر وحوافزه في الأدب العربي القديم، د. خالد صكبان حسن، مجلة دراسات البصرة، السنة العاشرة، العدد (٢٠)، ٢٠١٥م، ص ٢٠٠.
- (١٢) م.ن، ص ٢٠٢.
- (١٣) الوطن في الشعر العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثاني عشر، وهيب طنوس، ص ٣٨٠.
- (١٤) الوعي بالمكان ودلالاته في قصص "محمد العمري"، شاكر عبد الحميد، فصول، العدد ٤، مج ١٣، شتاء ١٩٩٥م، ص ٢٤٩.
- (١٥) م.ن، ص ٢٥٠.
- (١٦) الوطن في الشعر العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثاني عشر، وهيب طنوس، ص ٢٠٧-٢٠٨.
- (١٧) ديوان ابن شرف القيرواني، تحقيق: د. حسن ذكرى حسن، ص ٦١-٦٣.
- (*) المور: الغبار، أو التراب الذي تثيره الرياح. ينظر: م.ن: ص ٦١.
- (*) الغدائر: جمع غدره وغدره، وهي شدة الظلمة تحبس الناس في بيوتهم. نظر: م.ن، ص ن.
- (١٨) الحنين والغربة في الشعر العربي، ص ١٠.
- (١٩) شعراء الرثاء في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ص ١٧.
- (٢٠) ديوان ابن شرف القيرواني، ص ٨٦.
- (٢١) م.ن، ص ن.
- (٢٢) م.ن، ص ٨٩.
- (*) إذ تظهر الدراسات الصوتية الحديثة أنّ أهم ما يميز صوت الألف، هو طوله الزمني، إذ تبلغ ذبذبة صوت الواو ما يقارب ٣٢٦، والياء حوالي ٣٠٨ - مقارنة بصوتي اللين الـ(O)، والـ(E) في اللغة الانجليزية - في حين تبلغ ذبذبة الألف ٨٠٠ - مقارنة بصوت المد (A)

- (١) ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج ١٩، ص ٣٧، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتمري، تحقيق: سالم مصطفى البدر، الهامش، ج ٤، ص ١٠٤.
- (٢) ينظر: الصلة، ج ٢، ص ٥٧١، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج ٣، ص ٢٣٩، ابن شرف القيرواني، د. محمد طه الحاجري، ص ٢٩.
- (٣) ديوان ابن شرف القيرواني، أبو عبد الله محمد بن شرف القيرواني، تحقيق: د. حسن ذكرى حسن، المقدمة، ص ٢٠.
- (٤) ينظر: تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ج ٤، ص ٥٦٤، ابن شرف القيرواني، د. محمد طه الحاجري، ص ٣١.
- (٥) ينظر: تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ج ٤، ص ٥٦٤.
- (٦) نقلا عن: ديوان ابن شرف القيرواني (المقدمة)، ص ٢٤، ولمتابعة المزيد من الشهادات التي قيلت في مكانة ابن شرف الشعرية، وعلو كعبه في هذا المجال، ينظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج ٤، ص ١٠٤ - ١٠٥، مقدمة ابن خلدون، ج ١، ص ٤٩٦.
- (٧) ينظر: تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ج ٤، ص ٥٦٤-٥٦٥، تاريخ الأدب العربي في المغرب، حنا الفاخوري، ص ١١٠.
- (٨) الشعر والشعراء، ج ١، ص ٧٨.
- (٩) م.ن، ص ٧٩.
- (١٠) العمد، ج ١، ص ٢٠٥.

بواعث الشعر عند ابن شرف القيرواني وأثرها في توجيه نصه الشعري

ينظر: بول ريكور، بحث متاح على الموقع الإلكتروني:

www.wikipedia.org

(٣٢) نقلا عن: سوسيولوجيا الغزل العربي (الشعر

العذري نموذجاً)، الطاهر لبيب، ص ١١.

(٣٣) ديوان ابن شرف القيرواني، ص ٦٨.

(٣٤) م.ن، ص ٩٠، وينظر: م.ن، ص ٩١.

(٣٥) م.ن، ص ٩٤.

(٣٦) م.ن، ص ٨٥.

(٣٧) م.ن، ص ٥٣.

(٣٨) م.ن، ص ٦٠.

(٣٩) م.ن، ص ٤٩.

(٤٠) م.ن، ص ٧٨-٨٨.

(*) العقب: القدح الضخم الغيظ الجافي وقيل قدح من

خشب مقعر. ديوان ابن شرف، الهامش، ص ٦٩.

(٤١) م.ن، ص ٦٩.

(٤٢) م.ن، ص ١٠٧.

(٤٣) ينظر: فن الشعر الخمرى وتطوره عند العرب،

إيليا الحاوي، ص ١١، الشعر العربي أيام المماليك ومن

عاصره من ذوي السلطان في الخمرة الشعر الزنكي

والأيوبي، جنانر تيسير محمد الصوص، رسالة ماجستير

غير منشورة، جامعة الخليل، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م، ص ١.

(٤٤) ديوان ابن شرف القيرواني، ص ٣٧-٣٨.

في اللغة الانجليزية، أي أنها تقرب من ضعف ذبذبة

الواو والياء، وهذا معناه أن الألف أطول زمنياً من

صوتي الواو والياء، وإنها تحتل أقصى مكان في الطبقة

أو الأوكتاف إذا كانت الواو أو الياء تحتل أدنى مكان

فيه. ينظر: موسيقى الشعر العربي، د.شكري محمد

عيّاد، الهامش، ص ١٣، الأصوات اللغوية، د. إبراهيم

أنيس، ص ١٤٥.

(٢٣) ديوان ابن شرف القيرواني، ص ١٠٦.

(٢٤) م.ن، ص ٧٦.

(٢٥) م.ن، ص ١٠٧.

(٢٦) ينظر: صورة المرأة في شعر الطبيعة بين ابن

زيدون وابن خفاجة، دراسة موضوعية، صالح حوامرية،

رسالة ماجستير غير منشورة، الجمهورية الجزائرية

الديمقراطية الشعبية، جامعة بنسة، ٢٠١١-٢٠١٢م،

ص ١٣.

(٢٧) ينظر: سوسيولوجيا الغزل العربي (الشعر العذري

نموذجاً)، الطاهر لبيب، ص ١٣.

(٢٨) ديوان ابن شرف القيرواني، ص ٥٠.

(٢٩) م.ن، ص ٥١.

(٣٠) م.ن، ص ٤٧.

(*) الخدلجة: المرأة الممتلئة الذراعين والساقين، والرداح:

المرأة الضخمة العجيذة، ثقيلة الأوراك، تامة الخلق.

ينظر: م.ن، الهامش، ص ٤٧.

(٣١) م.ن، ص ٥٦-٥٧.

(*) بول ريكور: فيلسوف فرنسي وعالم لسانيات معاصر

ولد في فالينس، شارنت، ٢٧ فبراير ١٩١٣، وتوفي في

شاتينايا مالابري، ٢٠ مايو ٢٠٠٥. هو واحد من ممثلي

التيار التأويلي، اشتغل في حقل الاهتمام التأويلي ومن ثم

بالاهتمام بالبنوية، وهو امتداد لفريديناند دي سوسير،

لكن ريكور يعدّ رائد سؤال السرد. أشهر كتبه. للمزيد

بواعث الشعر عند ابن شرف القيرواني وأثرها في توجيه نصه الشعري

المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب:

١. ابن شرف القيرواني، د. محمد طه الحاجري، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٣م.
٢. الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٧م.
٣. تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٩٠م.
٤. تاريخ الأدب العربي في المغرب، حنا الفاخوري، بيروت، لبنان، ط١، (د.ت.).
٥. الحنين والغربة في الشعر العربي، يحيى الجبوري، دار مجدلاوي، إربد، الأردن، ط١، ٢٠٠٨م.
٦. ديوان ابن شرف القيرواني، أبو عبد الله محمد بن شرف القيرواني (٣٩٠هـ-٤٦٠هـ)، تحقيق: د. حسن ذكرى حسن، دار مصر للطباعة، (د.ت.).
٧. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتمري، تحقيق: سالم مصطفى البدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
٨. سوسيولوجيا الغزل العربي (الشعر العذري نموذجاً)، الطاهر لبيب، ترجمة: مصطفى المسناوي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٧م.
٩. شعراء الرثاء في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، عبد اللطيف عيسى، دار غيداء، ط١، ٢٠١٣م.
١٠. الشعر العربي أيام الممالك ومن عاصريهم من ذوي السلطان، خالد إبراهيم يوسف، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
١١. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦م.
١٢. الصلة، ابن بشكوال، الدار المصرية للتأليف

والترجمة، ١٩٦٦م.

١٣. العمدة في محاسن الشعر ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٩م.
١٤. فن الشعر الخمرى وتطوره عند العرب، إيليا الحاوي، دار الثقافة، بيروت، (د.ت.).
١٥. معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ابن الدبّاغ، تونس، ١٣٢٠هـ/١٩٥٤م.
١٦. معجم الأدباء، ياقوت الحموي، القاهرة، ١٩٣٦هـ/١٩٣٨م.
١٧. موسيقى الشعر العربي، شكري محمد عياد، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦٨م.
١٨. الوطن في الشعر العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثاني عشر، وهيب طنوس، ط١، ١٩٧٥.

ثانياً: الرسائل الجامعية:

١. الخمرة في الشعر الزنكي والأيوبي (دراسة موضوعية وفنية)، جلنار تيسير محمد الصوص، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخليل، كلية الدراسات العليا، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
٢. صورة المرأة في شعر الطبيعة بين ابن زيدون وابن خفاجة (دراسة موضوعية)، صالح حوامرية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، جامعة بنسة، ٢٠١١-٢٠١٢م.

ثالثاً: الدوريات:

١. فصول، مج١٣، عدد (٤)، شتاء، ١٩٩٥م.
٢. مجلة دراسات البصرة، السنة العاشرة، العدد (٢٠)، ٢٠١٥م.

رابعاً: المواقع الالكترونية:

١. بول ريكور، بحث متاح على الموقع الالكتروني:

www.wikipedia.org

Abstract

The purpose of this research is to identify the effect of the motives in the poetic experiment in terms of structure and significance, and that creative poetry is only a technical response to these motives. After the research, study and analysis, it became clear to us that the poetry of the poet in question came in response to a set of motives and substantive influences, which have agreed and the nature of composition, and the habit and the harvest of culture, and perhaps the most prominent of these motives and dangerous in the experience of the poet Ibn Sharaf is: homeland and nostalgia overrun, Then man with both types, and wine.

Keywords: Poems, poetry, son of Sharaf al-Kairouani, impact, structure, significance.

بواعث الشعر عند ابن شرف القيرواني وأثرها في توجيه نصّ الشعري
